إشكالية الدولة الجزائرية الحديثة بقيادة الأمير عبد القادر:

من ناحية المنظور والتأطير – دراسة تحليلية نقدية–

أ. سلاماني عبد القادر

جامعة بشار

ملخص:

إن مسألة البحث في تحديد مفهوم الدولة الوطنية وأصالتها في الفكر العربي الإسلامي عموما وفي فكر الأمير عبد القادر خصوصا تعد من بين أهم المسائل التي شكلت انشطارا وانشقاقا في الفكر الإصلاحي ذاته نتيجة الاختلاف حول المفاهيم الأساسية التي امتدت صيرورتها التاريخية منذ فترة زمنية طويلة حيث أن تحديد المفاهيم التي تأسست عليها النهضة كانت محور اختلاف المفكرين والباحثين هل يمكن إرجاع النهضة للإصلاح الاجتماعي والسياسي أم كليهما أو الإصلاح الاقتصادي والثقافي

ملخص اللغة الفرنسية :

les sujets les très importants qui nécessite l'intérêt vu les problématiques qu'il englobe , le projet de l'état algérien moderne sous le commandement de l'émir pour affronter le projet colonisateur français dans un cadre stratégique avec des dimensions scientifiques civilisatrices et diplomatique selon des fonds économiques, sociaux politiques religieux et culturels français pour anéantir le projet de l'état algérien moderne. les français se sont rendus compte que leur projet fut réalisé après avoir détruit l'ésprit de lutte et l'idée du projet de l'état algérien moderne que l'émir a entrepris sa puissance se montre dans sa pensée et sa philosophie qui représenté une renaissance en elle même, une renaissance qui a utilisé comme moyen les voies de la civilisation et du développement malgré que son projet n'a pas atteint ses fruits il reste une vraie réalisation de civilisation.

المقدمة: شكلت مسألة البحث في تحديد مفهوم الدولة الحديثة انشطارا وانشقاقا في الفكر الغربي وتعد من بين أهم المسائل التي في الفكر الحديث نتيجة الاختلاف حول المفاهيم الأساسية التي امتدت صيرورتها التاريخية منذ فترة زمنية طويلة حيث أن تحديد المفاهيم التي تأسست عليها الدولة كانت محور اختلاف المفكرين والباحثين هل يمكن إرجاع للمنظور السياسي أو الاجتماعي أو

التاريخي أو الاقتصادي. اشكالية الدولة طرح قديم وخاصة ما يتعلق بحداثة الدولة من ناحية المعنى والمبنى السوسيوثقافي والسوسيواقتصادي، في كيفيات تشكل الدولة الغربية ونشأتها وكيف يمكننا القياس على ذلك ونعني بذلك ما النسق المنتهج في المنظومة الغربية في تشكل دولتها، وتحديد عناصر الدولة الحديثة في القرن 19م والتي تمثلت في نموذجين الأول يتعلق بالفكر التنظيري والجانب العملي الممارساتي وذلك من خلال عدة معطيات وتحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية ووفق مقومات يجب أن تتوفر في قيام الدولة. فما هو مفهوم الدولة ؟ وما هي مميزاتها وخصائصها وما مفهومه عند الأمير عبد القادر ؟ وما مفهومها ونسقها التنظيري والتأطيري عند الأمير عبد القادر، من ناحية التنظير وتطبيق النظم والتنظيمات الخاصة بالدولة ؟

لقد اختلفت الرؤى حول تحديد ماهية الدولة من خلال عدة توجهات تاريخية وسياسية واجتماعية ودينية حول إعطاء معنى دقيق، إلى تباين الآراء حول مقومات الدولة إلا انه تم الإجماع على العناصر الأساسية التي يجب أن تتوفر لقيام الدولة فماذا نقصد بالدولة وما هي مقوماتها؟

1- تعريف الدولة : التعريف اللغوي للدولة تعني الفعل والانتقال من حال الى حال، بينما اللفظ الفرنسي état والانجليزي state ينحدر من اللفظ اللاتيني statut والذي يعني الاستقرار والثبات، أما في المفهوم السياسي عند ميكيافيلي Machiavelli يعني التمييز بين الحكومات والممالك التي حكمت الجنس البشري ولا تخرج جميع الحكومات والممالك التي حكمت الجنس البشري في الماضي أو التي تتولى حكمه الآن من أن تكون في أحد الشكلين الجمهوري أو الشكل الملكي.

الدولة ظاهرة حديثة فهي عبارة عن مجتمع له سلطة حاكمة ورقعة أرض تعلو فيها السلطة الحاكمة بشكل شرعي على أي فرد أو جماعة يعيشون في هذا التجمع ولا يكون هذا التجمع دولة الا عندما تكون طريقة الحياة التي يجب أن يسير عليها الأشخاص والجماعات محددة بواسطة سلطة ملزمة لهم جميعا وهذه السلطة ذات السيادة هي التي تسمى حديثا دولة وهي مركزة على السلطة كمؤسسة عن المجتمع قصد التميز عنه والانتظام في جهاز مؤسساتي(1)، وتعتبر الدولة الوحدة السياسية الكبرى الموجودة في المجتمع فهي الموضوع الرئيسي الذي يعالجه علم السياسة، يعرفها بلانتشي Bluntschi أنها جماعة مستقلة من الأفراد يعيشون بصفة مستمرة على أرض معينة بينهم

طبقة حاكمة وأخرى محكومة ويعرفها هولاند Holland على انها مجموعة من الأفراد يقطنون اقليما معينا ويخضعون لسلطان الأغلبية أو سلطان طائفة منهم، بينما يعرفها بونار Bonnard على أنها وحدة قانونية دائمة تتضمن وجود هيئة اجتماعية لها حق ممارسة سلطات قانونية معينة في مواجهة أمة مستقرة على إقليم محدد، وتباشر الدولة حقوق السيادة بإرادتها المنفردة وعن طريق استخدام القوة المادية التي تحتكرها.(2) ظهر مصطلح الدولة الحديثة في أوروبا منذ القرن 16م كظاهرة سوسيولوجية ومفهوم سياسي وكشكل قانوني وجغرافي محدد ذات تنظيم معين، فمن الناحية الفقهية قامت عل فكرة القانون كقواعد موضوعة وجردة ومن الناحية التنظيمية تبنت مبدأ الوحدة المركزية مع توزيع الاختصاصات على أسا نمط عقلاني رسمي. (3)

رغم تباين الآراء حول مفهوم الدولة من عدة نواحي سياسية واجتماعية وقانونية ودينية إلا أنه تبقى الدولة منظمة سياسية بأنها جماعة من الناس تستقر في إقليم معين وتخضع لسلطة سياسية تدير شؤونها ومن أهم مقومات الدولة هي:

الشعب: هو مجموع الإفراد الذين تتكون منهم الدولة يقيمون على أرضها ويحملون جنسيتها رابطة الولاء فالشعب ظاهرة طبيعية وسياسية ارتباطه بالإقليم بصفة دائمة وخضوعه لنظام سياسته(4).

الإقليم: الرقعة الجغرافية التي يتواجد بها شعب الدولة لإدارة شؤونهم وممارسة أعمالهم فالاستقرار في مكان معين من العوامل الهامة لقيام الدولة وتثبيت دعائمها فيقصد بالإقليم سطح الأرض الذي يستقر عليه الشعب وما تحته من أعماق وما فوقه من جو إلى الارتفاع (5) بأبعاده الجوية والمائية وحدوده الطبيعية كالجبال والبحار، الذي تحدده المعاهدات الدولية والإقليم ضروري لممارسة السيادة ومباشرتها وفرض نظامها وتطبيق قوانينها(6).

الحكومة السلطة السياسية: الجهاز الذي يملك السلطة السياسية والمشرع الوحيد للشؤون الداخلية والخارجية مع عدم تبعيتها لسلطة خارجية فالدولة لها الحرية التامة في تنظيم علاقاتها الخارجية وفق مصالحها(7) فالسيادة هي ممارسة للإرادة الأمة وكائنا مشتركا على وجه جماعي(8)، وقبول المحكومين للهيئة الحاكمة ضروري من أجل استمرارها وتحقيق استقرارها وتصبح أعمالها ذات مشروعية وسلطة قانونية. (9)

اعتمد الأمير عبد القادر على مجموعة من الأفكار الحديثة لبناء أسس الدولة الحديثة وفي كيفية تولي الحكم والممارسة السياسية خلال القرن 19م، حيث استطاع تأسيس مؤسسات وأجهزة الدولة وقوانينها، مع قطع الصلة بالمفاهيم التقليدية التي كانت تؤسس عليها الدولة في عصره، من خلال تغيير وبلورة الأفكار المتعلقة بنشأة الدولة لأجهزة وأدوات ديناميكية (10) تقوم على العمل الاجتماعي والسياسي والديني في المجتمع وفق إرادة شعبية وبيعة شرعية قائمة على نظام سياسي شرعي ومركزي ومؤسساتي ولم تستأثر جماعة معينة على حساب أفراد الأمة، عكس الدولة السلطانية السائدة في عصره والقائمة على الحرب والمال والتسلط .

2- مفهوم الحداثة : للكلمة دلالة معرفية أكثر منها زمنية حيث أخذ هذا المصطلح معنى ما هو تقدمي عصري في القرن 19م ويعرفها هابرماس على أنها قطيعة زمنية متكررة لإنتاج نسق جديد بمعرفته ووجوده وقيمه وبشرطيه الإنساني والعقلاني وهي علاقة تربط الحديث بالقديم وتسعى إلى عقلنته وأنسنته وفق مشروع يحاول انجازه بتكرار قائمة على أسس النهضة وعصر التنوير في أوروبا وتعتبر مدرسة ذات توجه فكري وفلسفي يواصل التحقيب الزمني والمعرفي وهي موقف بوضع الإنسانية في قلب كل الأشياء ابتداء من الدين مرورا بالطبيعة والعلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية(11) فهي عبارة عن مجموعة من التحولات الاقتصادية والسياسية التي توجت بالثورة الصناعية في انجلترا والثورة الفرنسية 1789 وبذلك ارتسم عالم جديد يطبعه التصنيع وتقسيم العمل والتمدن وظهور عصر الوطنية وظهور ديمقراطية الجماهير وظهور قيم جديدة العقل السيد الوحيد الذي يقبله الإنسان للخضوع لسيادته وتم تسجيل المساواة والحرية كحقوق كونية في ميثاق حقوق الإنسان(12).

فلسفة الجهاد عند الأمير عبد القادر ليست رؤية محلية كردة فعل دينية، وإنما ردة فعل على أسس وطنية وفق مشروع الدولة الجزائرية الحديثة التي تعتبر نهضة عملت بأسباب الحضارة والتقدم رغم أن مشروعه لم يكتمل إلا أنه يبقى إنجازا حضاريا. في إحياء البعد الوطني.

أدراك الشيخ محي الدين الواقع المشروع الفرنسي والأوروبي المستهدف للعالم العربي الإسلامي ووضعية الدولة العثمانية، ولذلك قام تنظيم المقاومة تحت قيادة واعية لمقاومة قوات

الاحتلال الفرنسي دفاعا عن الوطن الجزائري وحفاظا على سلامة أراضيه لذا نجده يوافق زعماء وعلماء المنطقة في اختيارهم لابنه عبد القادر ليكون على رأسهم في مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي فاختاروا القيادة للشباب بعد امتناع الشيخ محي الدين تولي هذه المسؤولية لأنه كان يرى فيها أنها حرب طويلة الأمد ومشروع حضاري يتطلب المزيد من الجهد وسط مجتمع مشتت تمثله القبليات والزوايا فبفضل تصديه للمشروع الاحتلالي ساهم في تكوين شخصية وطنية جزائرية ستتبلور ملامحها في الأمير عبد القادر في إطار مشروع إنشاء الدولة الجزائرية الحديثة.

3- أسس الدولة الجزائرية الحديثة:

قامت الدولة الحديثة على مجموعة الأسس استطاعت التميز على ما كانت تقوم عليه الدولة العربية الإسلامية في ذلك العصر من بينها:

أ- البيعة حيثياتها ومرجعياتها القانونية والشرعية والحضارية :

في 21 نوفمبر 1832 عقد اجتماع في سهل غريس ضم أعيان قبائل معسكر لمفاتحة الشيخ محي الدين في شأن الإمارة، وتحت ضغط المجتمعين لقبول الإمارة قال محي الدين لهم " إن الحكم يقتضي استعمال القوة بغلظة وسفك الدماء "13، ولما امتنع عن قبول الإمارة طالبوه بأن يكون ابنه عبد القادر أميرا عليهم فقبل بذلك، ولما أبلغ عبد القادر وافق هو على ما اتفق عليه الجميع وأظهر التزامه بالمبادئ الإسلامية وتمت البيعة وفق ما كانت عليه في زمن الخلفاء الراشدين، حيث أنه بعد أن اجتمع علماء المنطقة وزعماءها وخيّموا تحت شجرة الدردارة، جاء محي الدين وذويه، وجلس عبد القادر تحت الشجرة، فقام والده فبايعه على السمع والطاعة وبايعه الباقون وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية14.

توجه الأمير عبد القادر إلى معسكر يوم 25 نوفمبر 1832م فاستقبله أهلها، 15، وقد استقر مع الفرسان الذين انضموا إليه بالخصيبية، ثم دخل إلى جامع المدينة حيث أتته الوفود معلنة طاعتها ومبايعتها له وفي 27 نوفمبر 1832م وقع الأعيان والعلماء الذين شهدوا البيعة على الصك الذي حرره علي بوطالب، ولما تمت البيعة كلف الأمير مجلس العلماء بأن يكاتبوا رؤساء القبائل في مختلف أطراف البلاد بأمر البيعة وما وقع عليه الاتفاق ويدعوهم إلى الحضور لأداء بيعتهم كما أداها غيرهم